الفلسفة والتفلسف

الأستاذ / أحمد عبد الرحيم السايح

مدرس العقيدة والفلسفة المساعد

إن الميل إلى الفلسفة طبيعي في الإنسان ، وأن لكل شخص في الحياة فلسفة يسير عليها ، ومذهبا خاصا في أفعاله وسلوكه . . .

فهو إما أن يأخذ هذه الفلسفة عن غيره . وإما أن يبدعها بنفسه ، فيفكر في مبدأ هذا الوجود ومعاده ، ويتأمل ما فيه من الخير والشر . ويفكر في الإنسان وغايته ، ويتخذ لنفسه في الحياة قاعدة عملية متناسبة مع عقائده وآرائه .

وهذه الفلسفة العامية قد يستمدها الانسان من تجاربه ومطالعاته . . وقد يوحي إليه بها القلب ، والضمير ، تحت تأثير العوامل الاجتماعية . وقد تقبلها نفسه صاغرة أو مختارة . . إلا أن شيئا واحدا لا ريب فيه ، وهو أن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تبقى مجردة من الاعتقاد .

نعم أن في الناس طبقة لا تتلذذ بالتصور ، ولا تفكر في شيء كأن على سمعها حجابا ، أو على أبصارها غشاوة ، فلا تميل إلى هذه الأبحاث ، ولا تهتم بهذه الآراء ، بل تنصرف إلى الحياة المادية فهي حقيقة بأن تسمى عدوة الفلسفة ، لأن أفرادها مصابون بالجمود الفكري ، والركود الفلسفي . إلا أنهم قليلون لا يعتد بهم ، ولا يلتفت إليهم .

ولقد أصاب الذي قال : إن الإنسان فيلسوف بالطبع ، لأنه لم يتجرد

من الاعتقاد الفلسفى أبداً . بل كانت الفلسفة دائما مطمح أنظاره، حتى أن الجهل لم يمنعه فى العصور المظلمة من أن يذهب مذاهب شتى فى الوجود ، وطبيعة النفس ، والبقاء بعد الموت(١)

والفلسفة ليست من الأمور التى تهم المتخصص فقط ، وإنما تهم الجميع وذلك لأنه - وإن كان هذا أمر يمكن أن يدعو إلى التعجب - لا يوجد فى الغالب إنسان لا يتفلسف . أو على الأقل فإن لكل إنسان لحظات فى حياته يصبح فيها فيلسوفا(٢) .

فالتفكير الفلسفى ليس كما يتصور البعض احتكاراً للفلاسفة أو المشتغلين بالفلسفة ، إذ أن الإنسان كانسان: يتميز عن غيره من الكائنات بعقل ، وهبه الله إياه ليفكر به .

والتفلسف ليس شيئا أخر غير استخدام هذا العقل ، فالحيوان يرى ، ويسمع ، بل ويتذكر ، ولكنه لا يستخدم هـــذه القوى إلا فى حاجاته الوقتية . .

أما الإنسان فيرى ظواهر الكون على اختلاف أنواعها فيتصورها ويكون له فيهـــا رأيا ، ثم يجتهد فى تعرف عللها وعلاقة حقائق الكون بظواهره ، وهذا طريق فهم الشىء فهما واضحا . فإن فعل هذا قلنا إنه « يتفلسف » (٣)

---

(١) الدكتور جميل صليبا « علم النفس » ص ١١ ط دار الكتاب اللبنانى الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م بيروت .

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق « مدخل إلى الفكر الفلسفى » ص ١٣ ط الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٩٧٣ م .

(٣) رابورت ترجمة أحمد أمين مبادىء الفلسفة ص ١ ، ٢ =

وعلى ذلك فإنه لا يوجد فى الغالب إنسان لا يتفلسف ، أو على الأقل فإن لكل منا فى حياته لحظات يكون فيها فيلسوفا ينظر ويتأمل ، ويحاول الوصول إلى أعماق الأمور ..

وليست الفلسفة إلا نتاجها للنظرة الفاحصة للعقل البشرى إلى هذا الوجود ، وتطلعا مشروعا من جانب هذا العقل إلى ادراك المبادىء الأولى فى هذا الوجود ، ومحاولة لحل ألغاز الحياة المتمثلة فى الأسئلة التالية: من نحن ؟ ومن أين نأتى ؟ وإلى اين نذهب ؟ وما أحسن سبيل للوصول إلى هذا المصير ؟(١) .

والعقل قبس من نور الله ، أو كما يقول الإمام الغزالى « انموذج من نور الله » .

ويحاول العقل أن يكشف بهذا النور « بحاهل الوجود وشعابه ، فيتتبع الموجودات ، ويحاول أن يدرك ماهياتها وشكلها ، مرتقيا من علة إلى علة حتى يصل إلى الغاية القصوى التى هى العلة الأولى ، والتى كان كل شىء بها ومن أجلها » .

ثم يعود هذا العقل مرة أخرى إلى تأمل هذا الكون ناظراً فيه من جديد ومكونا لنفسه صورة واضحة عنه . ومفسرا كيفية انسجام الأشياء فى ذاته ، وفيما حوله ، عما هو خارج عن ذاته(٢) .

= ط النهضة المصرية ١٩٦٦ م

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق تمهيد للفلسفة ص ١٥
ط الأنجلو المصرية ١٩٧٩ م .

(٢) حنا الفاخورى وخليل الجر تاريخ الفلسفة العربية ص ٧
ط بيروت ١٩٦٦ م .

ومن ذلك يتضح لنا: أننا جميعا من عامتنا إلى خاصتنا، نتفلسف بدرجات متفاوتة ، وإن كان البعض منا لا يريد أن يسلم بأنه يتفلسف (١)

فالفلسفة فى واقع الأمر ليست بالشيء الدخيل على الإنسان ، فحياته حلقات متصلة من الفكر والتأمل .

وهكذا نجد أن الفلسفة ليست نبتا غير طبيعى فى المجتمع ، وإنما هى ظاهرة إنسانية، ملازمة لوجود الإنسان كانسان ، ولن تزول هذه الظاهرة من الحياة طالما كان هناك إنسان فى هذا الوجود »(٢)

وليست الفلسفة مجرد دراسات نظرية منعزلة عن حياة الناس اليومية، بعيدة عن التأثير فيها ، وإنما هى نظرة إجمالية فى الكون ، واتجاه فكرى عام ، نحو الحياة فى مجموعها . . وهذه النظرة ، وهذا الاتجاه الفكرى يؤثر بطبيعة الحال فى تصرفات الإنسان اليومية ، وفى معالجتنا للحوادث التى تمر بنا ، بمقتضاها، نسير فى عملنا ونواجه النظم الطبيعية والاجتماعية التى تحيط بنا ، ونجده ميولنا نحوها ، وتصرفاتنا تجاهها(٣) .

ولكل إنسان نظرة فى الحياة : فى أصلها ، وفى غاياتها ، وفى مصير هذا الإنسان ، وفى البعث والخلود ، وفى الخير والشر . فهذه أسئلة ، لابد أن كل واحد قد فكر فيها ، وانتهى إلى رأى حقا كان أم باطلا . فإن قلت : ومن الناس من يقف مترددا لا يستطيع أن يتبين الطريق . قلنا : إن السكاك

---

(١) يعقوب فام البراجماتزم ص ٤٠ ط القاهرة ١٩٣٦م.
(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق « تمهيد للفلسفة » ص ١٦ ط الأنجلو المصرية ١٩٧٩ م .
(٣) يعقوب فام « البرجماتزم » ص ٣٢ ط القاهرة ١٩٣٦ م .

وقلما أمريين من الفلاسفة(١) .

وكل إنسان فى خلال حياته يقبل نوعا من الفلسفة عن وعى أو عن غير وعى ، إذ أن لكل إنسان إفكاره عن الكون والحياة ، وعن دوره فى الحياة ، وتنشأ هذه الفلسفة عن القراءات والتعليم والتقاليد ، وعن دوافع القلب ، وهواتف الوجدان(٢) .

ولفظ فلسفة مشتق من اليونانية ، وأصله : « فيـــلا — صوفيا » ، ومعناه : محبة الحكمة ، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء ، والعمل بما هو أصلح(٣) .

والصفات التى تتميز بها الفلسفة هى : الشمول ، والوحدة ، والتعمق فى التفسير والتعليل ، والبحث عن الأسباب القصوى ، والمبادىء الأولى ، ولذلك عرفها أرسطو بقوله : إنها العلم بالأسباب القصوى ، أو علم الموجوه بما هو موجوه .

وعرفها ابن سينا بقوله : إنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه .

وهى كما قال الجرجانى : التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية(٤) .

---

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، معانى الفلسفة ، ص ٨ ط الحلبى ١٩٤٧ م .

(٢) المصدر السابق ص ١٠

(٣) الدكتور جميل صليبا ، المعجم الفلسفى ، الجزء الثانى ص ١٩٠ ط دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٠

أما فى العصور الحديثة فإن لفظ الفلسفة يطلق على دراسة المبادىء الأولى التى تفسر المعرفة تفسيراً عقليا كفلسفة العلوم ، وفلسفة الأخلاق ، وفلسفة التاريخ ، وفلسفة الحقوق الخ، أو تطلق على كل معرفة تامة التوحيد أو تطلق على مجموع الدراسات المتعلقة بالعقل من جهة ما هو متميز عن موضوعاته ، أو من جهة ما هو مقابل للطبيعة (١) .

فإذا دلت الفلسفة على دراسة العقل البشرى من جهة ما هو متميز عن موضوعاته انقسمت إلى قسمين :

١ — قسم يشمل البحث فى أصل المعرفة وقيمتها ، وفى مبادىء اليقين ، وأسباب حدوث الأشياء ، وهو مايحاول كل فيلسوف أن يجيب به عن سؤالنا : ماذا يمكننا أن نعلم ؟

٢ — قسم يشمل البحث فى قيمه العمل ، وهو الإجابه عن سؤالنا : ماذا يجب أن نفعل . .

والفرق بين العلم والفلسفة أن العلم يتقدم ويتسع نطاقه بازدياد الحقائق التى يحصل عليها ، على حين أن الفلسفة تظل محصورة فى دائرة واحدة من الحقائق ، وإن كانت الصور التى تعبر بها عن هذه الحقائق مختلفة ومتفاوتة (٢) .

ولذلك قيل . إن الفلسفة نظرية القيم ، وتشتمل على ثلاثة أقسام وهى:

المنطق ، وموضوعه : البحث فى قيمة الحقيقة ، وعلم الجمال ، وموضوعه: البحث فى قيمة الفن ، وعلم الأخلاق ، وموضوعه : البحث فى قيمة العمل .

---

(١) المصدر السابق ص ١٦١
(٢) المصدر نفسه .

وتسمى هذه العلوم الثلاثة بالعلوم المعيارية ، وموضوعها : دراسة مظاهر العقل البشرى من حيث قدرته على تأليف أحكام القيم(١) .

ولكى نفهم حقيقة الفلسفة ينبغى ألا نفصلها مطلقا عن مجال المعرفة فالفلسفه لاتشير مباشرة إلى ما هو معرفة ، ولكنها تقترن اقترانا مباشراً بالمعرفة فى كل أبوابها ، ولا توجد معرفة لاتكون فى نفس الوقت مادة فلسفية .

ولذلك ترتبط الفلسفة بكل المناهج التى تؤدى إلى تحصيل المعرفة وتتعرض الفلسفة بالنقد أولا بأول لكل ما من شأنه أن يمثل منهجية لتحصيل المعارف والتحقق منها(٢) .

ومعنى الفلسفة إذن هو أنها فرع الاهتمام المعرفى المحاط بكل ضرورات وأدوات ووسائل الاحكام لطريقة التعبير المعرفى .

يمكن أن تتقدم خطوة صغيرة فى مجال الحوار ، وتبادل الرأى ، ومناقشة معانى الألفاظ ، لتجد نفسك فجأة وجهاً لوجه أمام أصول ومبادىء المعرفة ، وشروط التقدم المعرفى ، ومناهج البحث العقلى ، التى تقوم بدورها بالتحقق من كل النتائج ، وتقسيم كل أنواع البحث ، ووضع كل فكرة بسيطة أو معلومة فى إطارها المعرفى المختص بها حتى يمضى الفكر كأشمل ظاهرة إنسانية إلى أقصى أماد الخبرة المعرفية ، وطرق الاستفادة العملية التابعة لها(٣) .

---

(١) الدكتور جميل صليبا ، المعجم الفلسفى ، ج٢ ص ١٦١ ط الكتاب اللبنانى .

(٢) الدكتور عبد الفتاح الديدى ، ما معنى الفلسفة ، جريدة الأهرام ص ١١ الصادرة فى ١٩٨١/٤/٣

(٣) المصدر السابق .

ويمكن أن نفهم معنى الفلسفة على :

— أنها نظرة شاملة إلى الحياة فى مجموعها .

— وهى من جهة أخرى حل المشكلات .

— وهى من جهة ثالثة : الآراء التى تنتهى إلى العمل والسلوك ، مادامت سمة الحياة : الحركة ، والنمو ، والابداع . .

والذين يقصرون الفلسفة على التصورات المجردة المنعزلة فى الذهن إنما يبعدون الفلسفة عن الحياة .

ولقد كان سقراط فيلسوفا على هذا المعنى الذى نراه : لم يؤلف كتبا ، ولم يدون رأيا ، ولكنه كان يعلم الناس فى الشوارع والأروقة والملاعب ، فكان هو الحكمة الحية ، والفلسفة المتنقلة .

هذه الفلسفة الحية ، أو فلسفة الحياة ، لا نستطيع أن نحدها ، أو نعرفها ففى كل جيل لها مدلول ، وفى كل عصر لها تعريف ، وهذا يقتضى النظر فى التاريخ لاستقصاء مفهومها مع الزمان(١) .

وغاية الفلسفة : البحث عن الحقيقة بحثا مطلقا مجردا من الغايات ، ومعزولا عن الأحوال العاطفية والاجتماعية والمادية ، ويجرى البحث على أسس ثابتة من المنطق ، مؤيدة بالبراهين(٢) .

---

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، معانى الفلسفة ، ص ١٠ ط الحلبى ١٣٦٦ هـ .

(٢) الأستاذ عمر فروخ ، المنهاج الجديد فى الفلسفة العربية ، ص ١٨ دار العلم للملايين بيروت .

وإذا قيل: أن كل إنسان يتفلسف، فليس معنى ذلك أن كل الناس فلاسفة بالمعنى الإصطلاحى ..

فالفيلسوف ليس هو الشخص الذى يبدأ فقط بالتفلسف ، وإنما هو الذى يستمر فى التفلسف حتى النهاية .

وإذا كان من المسلم به أن كل موجود عاقل يفكر ، إلا أن الطريقة التى يمارس بها المرء هذا التفكير أمر مختلف عما هو الحال فى الفلسفة .

فالفيلسوف لا يكتفى بدرجة التفكير التى يمارسها المرء فى حياته العملية، وحاجاته الوقتية .

ولكنه يفحص نتائج الفكر العادى فى محاولة البلوغ إلى وضوح تام، فى حين أن الحقيقة فى التفكير العادى تكون أمراً تقريبيا معتقداً. ولذلك تكون قابلة للشك(١) .

ولو لاحظنا أصل الوضع لكلمة فلسفة ، لقلنا: إن الفيلسوف هو محب الحكمة أو المعرفة .. وسائغ أن نطلق كلمة « فيلسوف » على كل إنسان ذى عقل ، إذ محبة المعرفة قدر مشترك بين الناس جميعاً تستوجبه فطرتهم، ويتفاوت بمقدار مواهبهم ، وحب استطلاعهم .

ألا ترى أن كل إنسان بطبيعته يحب أن يستطلع ما يحس به إن ظاهراً وإن باطنا ، ويحاول أن يكشف حقيقته ، وسر وجوده ، وعلاقته بغيره ،

---

(١) دكتور حمدى رزوق « تمهيد الفلسفة » ص ١٧ الإنجلو المصرية ١٩٧٩ م .

فهل وجود هذا القدر المشترك بين الإنسان يجيز لنا أن نعمم أطلاق الفيلسوف وأن نطلقه على كل إنسان؟؟..

نعم لو لم يكن للفلسفة معنى خاصاً اصطلح عليه المفكرون لساغ لنا أن نقول ذلك .

لكن قد اصطلح الناس على أن للفلسفة معنى خاصاً ، وأنها أصبحت موضوع الخواص الذين يجهدون عقولهم فى حل مشكلات الحقائق، ومعميات المكائنات ، ويرون أن الحياة كل الحياة فى النظر فيها واستطلاع حقائقها، وسر وجودها ..

فالفلسفة بمعناهـــا الإصطلاحى ليست مطلق بحث ، واستطلاع ، والفيلسوف ليس كل من نظر واستطلع(١) .

بل إن الفيلسوف هو الذى صرف همته ، وأم أغراضه ، إلى البحث فى حقائق الأشياء ، واستطلاع ظواهر وجودها ، وعلاقة بعضها ببعض، واتخذ ذلك مهنة ، فأكسبته تلك المهنة مرونة فى عقله ، وقدرة على إدراك الأشياء بسرعة لم تكن عند غيره .

وكما لا يطلق أسم الطبيب أو الصانع أو الزارع إلا على من تدرب على الطب أو الصناعة أو الزراعة ، واتخذ ذلك مهنة له ، كذلك لا يطلق اسم الفيلسوف إلا على من صرف همته للبحث عن الحقائق واستطلاع عللها ، وتدرب على ذلك بعقله الحر من غير تقليد أو تقييد(٢) .

---

(١) الدكتور طاهر عبد المجيد المدخل إلى الفلسفة صـ ٥ ط دار الأنوار ١٣٨٢ هـ .

(٢) المصدر السابق صـ ٦

فالفيلسوف هو ذاك المفكر الذى يؤمن بأن عقل الإنسان يعلو على الإنسان(١)

وعباس محمود العقاد يحدد شخص الفيلسوف، بأنه: الذى يبحث ويعلل ويعمم ، ويراجع مذاهب الفلاسفة ، ويصحح ما يراه موضعاً للتصحيح(٢) .

وقد يبلغ المفكر مرحلة الحكمة، أو مرحلة التعديف على قدر استعداده من المران العقلى ، والقياس المنطقى . . ولكنه لا يبلغ درجة الفلسفة إلا إذا اصطنع أسلوب الفلاسفة ، وأخضع نفسه لمقاييسهم، وخاض مثلهم فى أشاراتهم ، وتوصل إلى مرتبة الإحساس بمعنوياتهم .

وقد يكتفى المفكر بأن يتابع شئون المعاش معتمداً على قوة المنطق وصلابته، وبأن يزاول حرفة العمل العقلى فى المسائل العادية، ولكنه لا يطلق عليه أسم الفيلسوف إلا إذا اتخذ من كلام الفلاسفة مقوداً للتعرف على الحقائق ، والوقائع ، وسلم بمنطقهم فى الإستناد إلى قيمهم ومفاهيمهم ..

فالفيلسوف لا يصبح فيلسوفاً إلا إذا استطاع أن يتشرب روح الفلسفة ، وطرائقها فى التعبير من ناحية ، وأن يقدر الرأى قدره ، وأن يعرف للفكرة خطورتها ، وأن يعترف فيما بينه وبين نفسه بمهام النظر العقل ، وأهميته من ناحية أخرى (٣) .

---

(١) الإستاذ محمد مصطفى القباج ، اللقاء بين الأدب والفلسفة ، مجلة دعوة الحق عدد رقم ٦ ، ٧ ص ٦٣ السنة ١١ المغرب ، الرباط .

(٢) الدكتور عبد الفتاح الديدى ، عبقرية العقاد ، ص ٢١٦ ط الدار القومية .

(٣) الديدى ، الإتجاهات المعاصرة فى الفلسفة ، ص ٣٢٣ ط الدار القومية .

فالمفكر لا يسمى فيلسوفا إلا إذا امتاز بأربع خصائص:

١ — أن يبحث عن الحقيقة بحثاً مجرداً .

٢ — أن يكون بحثه هذا نظرياً شاملا لمظاهر الوجود كلها . .

٣ — أن يجرى هو فى بحثه على أسس من المنطق المؤيد بالبراهين .

٤ — وأن يوجد نظاماً متماسكا خاصاً به ، ثم يستطيع أن يفسر لنا بهذا النظام مظاهر الوجود(١) .

فالفلسفة ميدان مفتوح أمام الجميع يمكن أن يدرج إليه كل مشتغل بالفكر على شرط أن يمر بكل أنواع المران الذى يقتضيه التعبير السليم، وعلى شرط أن يحمل فى ذوقه وحسه مسئولية الرأى(٢) .

ومن هنا يمكن أن نقسم مراتب الفكر عنـــد البشر إلى ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى :

هى مرتبة الفكر العادى التى تتمثل أو تنحصر فى انصراف الفرد إلى تدبير أمور حياته العملية ، ومعالجة مشاكله اليومية الجارية : أمور معاشه، ومعاملاته ، وعلاقاته مع الناس . . والإنسان فى العادة لا يقف عند هذه المرتبة من الفكر العادى ، وإنما تسلمه بالضرورة إلى :

---

(١) عمر فروخ «المنهاج الجديد فى الفلسفة العربية» ص ١٨ ط دار العلم للملايين .

(٢) الديدى «الإتجاهات المعـــاصرة فى الفلسفة» ص ٣٢٤ ط الدار القومية .

المرتبة ثانية :

وهو مايمكن أن يسمى بالفلسفة الخاصة التى تمثل مجموعة المبادىء والمعتقدات التى ينظر من خلالها الفرد إلى الحياة ، والأشياء ، والتى تمثل أيضاً القواعد التى يعتمدها فى سلوكه وتعامله مع الآخرين . وفى تقييمه أو حكمه على الناس والأشياء . .

المرتبة الثالثة :

وهناك مرتبة ثالثة من التفكير تتعدى هذا النطاق وتلك هى المرتبة التى يحاول فيها الفرد البحث عن تأصيل نظرى لهذه المبادى والمعتقدات ، قصد الوصول إلى أسس ومقومات نظرية تدعمها ، وفى هذه المرتبة فقط من الفكر يصبح الإنسان باحثاً فى علم الفلسفة(١) .

ولكى يصل الفيلسوف إلى هدفه المنشود من التفلسف ، لابد له على طريق التفلسف من خلوة فكرية ، لكى يستطيع أن يتمثل العالم الخارجى فى ذهنه ، مضفياً عليه نظرة كلية يعود بعدها مرة أخرى إلى هذا العالم يصوغه من جديد ، وفقاً لما توصل إليه من نظرة كلية شاملة(٢).

ونظراً إلى أن الفيلسوف فى حاجة ضرورية إلى هذا الإبتعاد عن الحياة اليومية الجارية ، فإنه يبدو فى نظر البعض منعزلا عن الحياة، ولكن هذا الإنعزال الذى يراه البعض فى موقف الفيلسوف ليس فى الواقع انعزالا حقيقياً .

---

(١) د . محمود حمدى زقزوق تمهيد للفلسفة ص ١٨ ط الإنجلو المصرية .
(٢) المصدر السابق ص ١٩

وإنما الفيلسوف الذى ينشد الوضوح لابد له — لكى يصفو فكره، ولكى تتجرد نظرته من شوائب المادة وعلائقها — من ممارسة التفلسف فى جو بعيد عن صخب الحياة وضوضائها .

فالفيلسوف الذى لايهتم كثيرا بجزئيات المسائل ، وإنما يفكر فى أمور كلية ، يغوص إلى أعماقها لكى يتبين جذورها ، لابد له من هذه العزلة المؤقتة التى ليست أبدا هدفا فى ذاتها ، وإنما هى فقط مجرد وسيلة يستعيد بها الفيلسوف على أداء واجبه ، وبلوغ هدفه من التفلسف(١)

ويجدر بنا أن نشير إلى الموقف الفلسفى لأهميته بالنسبة إلى الفلسفة والفيلسوف، حيث أنه من الموقف الفلسفى تنطلق النظرة الفلسفية والموقف الفلسفى ابتعاد عن الحياة الجارية بمشاكلها الجزئية المتعددة وطابعها البليد الرتيب ، وثرثرتها الدائمة .

وإذا مارفض الفيلسوف أن ينساق فى تيار الحياة اليومية الجارية لكيلا يضيع مع شتات جزئياتها ، ويعميه تعصبها الزائف ، فانه يكون قد وضع القبعة الأولى فى طريق التفلسف ، ويصبح الجو مهيئا أمامه لمعالجة الأمور الكلية التى تكون موضوع الفلسفة .

فالفلسفة كانت ومازالت علم الوجود الكلى كما عرفها أرسطو .

والفيلسوف لن يستطيع البحث فى الوجود الكلى ومناقشة الأمور الكلية العامة إلا إذا باعد بين نفسه وبين الحياة اليومية الجارية ، وهذه هى الخطوة الأولى من خطوات الموقف الفلسفى .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٠ بتصرف .

وهذا الموقف يقتضى من الفيلسوف أن يقوم بعملية رد العالم الخارجى فى صورته الجارية إلى الذات .

فرد العالم إلى الذات خطوة ضرورية من خطوات التفلسف لا بد منها ليتيسر للفيلسوف البحث فى الوجود فى صورته الكلية ،وهى بمثابة الخطوة الثانية من خطوات الموقف الفلسفى(١) .

ولكن حذار أن نفهم من عملية رد العالم إلى الذات استمراء الحياة الباطنية فى الذات، وقطع الصلة بالعالم الخارجى ، فالإنسان موجود فى العالم . ومن المستحيل أن يعزل نفسه عن هذا الوجود الواقعى ويلتجىء لنفسه وجودا خاصا به ، يجتر فيه ذاته ، ضاربا صفحا عما وعمن حوله .

ومعنى ذلك أن الفيلسوف بعد أن يرد العالم الخارجى إلى الذات يسعى إلى أن يصل بين نفسه وبين الوجود الخارجى ، وهذه تكون الخطوة الثالثة من خطوات الموقف الفلسفى .

وعلى ذلك فإن التفلسف يقتضى حركتين متلازمتين من حركات الفكر .

حركة يرجع فيها الفكر إلى نفسه فى نوع من الخلوة العقلية التى يتمحص فيها قواه ، ويتخلص إلى ماهيته ، ويرفض أن يترك نفسه على سجيتها مع تيار الحياة الجارية .

وحركة أخرى يخرج فيها إلى الواقع ليتفهمه بعد أن يكون قد ألمى

---

(١) الدكتور يحيى هويدى، مقدمة فى الفلسفة ص ٤١ ط دار الثقافة ١٩٧٤ م .

عليه التأمل العقلي طرائق خاصة في البحث تجعله لايحفل إلا بأكثر المسائل عموماً وشمولا ، وهي الكليات ، وبأكثر هذه الكليات كلية وهو مبحث الوجود أو الكون ككل وعلاقة الإنسان به(١) .

أحمد عبد الرحيم السايح
مدرس العقيدة والفلسفة المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ .